الإمامَةُ الحَسَنْيّة

ودورها في ترسيم طريق حركة الأمة

يحيى غالي ياسين

الإمامة الحسنية

ودورها في ترسيم طريق حركة الأمة

المقدمة

الحمد لله على ما هدانا , وله الشـــكر على ما أولانا , وصـلوات الله على خير خلقه أجمعين وآله الطيبين وصـحبه المنتجبين ومن إتبع هداه إلى قيام يوم الدين .... وبعد

قليلة هي لحظات التعرض إلى الرحمات الإلهية النازلة ببركة مولانا الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام لأسباب ... من أهمها ... ســـوء التوفيق وعدم إســـتحقاق هكذا إمتياز , فترانا مقصّـــرين في إحياء أمره ومقتصـــرين على ما يأتينا قســـراً من هنا وهناك من ذكر أومعرفة أوتناول جانب من جوانبه عليه السلام .... الخ وذلك في عرض حديث أو قصد إليه متواضع ..!

ونتج عن هذا التقصير والاقتصار أمور , من أهمها :

- المشـاركة في تركيز المظلومية الخاصّـة الواقعة على هذا الإمام الهمام صلوات الله عليه .
- الحرمان من بركات هذه الإمامة وهديها في الدنيا والسـير في طريق الآخرة.

وكلا الأمرين عظيمين لا ينبغي لنا القعود في أزاء ترتبهما علينا , وها أنا ذا أريد من هذه الوريقات أن أسـجّل طرقة في مطرقة تهديم هذا الحاجز الذي شـيّدناه بأنفسـنا بيننا وبينه صـلوات الله عليه , حيث أردت أن أبيّن (ومن الله التوفيق) أن الإمامة الحسـنية لها من الآثار والبصـمات على طريق

سير حركة الأمة ما أن يجعلنا نعتقد بأننا لا زلنا نسير ضمن تلك الحدود التي رسمها لنا عليه السلام .

الإمامة الحســنية ليســت إمامة عابرة في أيام عمر الأمة الإسلامية , ولا إمامة قد سيّرتها الظروف وحفّ بها الواقع , وإنما العكس هو الصحيح , فهي إمامة ممنهجة (إسم مفعول) وممنهجة (اســم فاعل) في الوقت نفســه , وكذلك كانت مســيّرة لزمنها بل للأزمان التي تليها , كانت ســائقة لتلك الحركة ورأس ســهم إتجاهها , كل هذا وفقط هذا ما أردنا أن نثبته هنا وكلنا عذر له صــلوات الله عليه ولك أخي القارىء الكريم , فعطائي مما أملك , وما أفقده عن الأمام الحسن عليه السلام هو الكثير الكثير ولكن قال تعالى : {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }البقرة286, والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

يحيى غالي ياسين

1433 للهجرة /

السماوة

الفصل الأول

حياة الإمام الحسن عليه السلام
من الولادة وحتى تولّي الإمامة
((بإقتضاب))

الفصل الثاني
حياة الإمام الحسن عليه السلام
من الولادة وحتى تولّي الإمامة
(بإقتضاب)

نستطيع أن نقسّم حياة الإمام الحسن عليه السلام على عدة تقسـيمات , كحياته عليه السـلام في أيام جدّه وحياته أيام الخلفاء (كما يُسـمّونَهم) الثلاثة وحياته أيام أبيه أمير المؤمنين عليه السـلام وحياته بعد تولّيه الإمامة وحياته بعد

الصلح وحتى الإستشهاد .. ولكون كتابنا هذا غير مختص بصورة رئيسة بإستعراض حياة الإمام الحسن عليه السلام وإنما قاصد بيان أثر إمامته في حركة الإمة , لذا إرتأينا أن ندمج تلك الأقسام بقسمين رئيسين هما : حياته قبل تولّيه الإمامة وحياته بعد تولّيه الإمامة , مع محاولة ذكر تفاصيل كل قسم على شكل نقاط ورؤس أقلام (كما يعبرون) تاركاً التفصيل للكتب المختصة بهذا الجانب .

وكذلك لا بد من توضيح أمراً لعلّه يعلق في الذهن وهو , أنّ تولّي مهام الإمامة لا تعني أن الإمام قبل ذلك لم يكن إماماً , بل هو إمام من الولادة وعمله وقوله وتقريره حجة حسب المصطلح الفقهي وتعبير الفقهاء أعلى الله مقامهم , وإنّما التولّي هنا هو إستخلاف مقام رسول الله صلوات الله عليه في الأمة تنظيماً لأمرها وتدبيراً لشؤونها , وأن له الولاية (التشريعية والتكوينية) على كل شيء وحتى على الإمام المعاصر له والذي لم تؤول له الولاية بعد .. والآن نبدأ بإستعراض حياة الإمام المقدسة وكما يأتي :

- الإمام الحسن عليه السلام حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه الأكبر , أبوه هو علي بن أبي طالب عليه السلام , وأمّهُ فاطمة الزهراء عليها سلام الله بنت سيد الكائنات , ولد عليه السلام في النصف من شهر رمضان المبارك من العام الثاني أو الثالث للهجرة [1], ولقد بادره رسول الله " ص " بقطع سرّته وأطعمه بريقه وضمّه إلى صدره ورفع يديه بالدعاء له : اللهم إنّي أعيذه بك وذريّته من الشيطان الرجيم , وأذّن في أذنه اليمنى وأقام في

[1] هنالك عدة أقوال في تأريخ ولادته عليه السلام , فقيل أن ولادته في 3 شعبان كما في شذرات الذهب , وقيل أن ولادته كانت في السنة السادسة قبل الهجرة كما أفاد ذلك محمد فريد في دائرة المعارف الكبرى ..

اليسرى , وسأل (ص) أباه " ع " : هل سميّته ..؟ فقال " ع " : ما كنت لأسبقك يا رسول الله , فقال " ص " : ما كنت لأسبق ربي , وبعد لحظات جاء جبريل : سمّه حسنا , وبعد سبعة أيام من الولادة , عقّ عنه " ص " بكبش وأعطى القابلة منه الفخذ , وحلّق " ص " رأس حفيده بيده المباركة , وتصدّق بزنة شعره فضّة على المساكين , وطلى رأسه بالخلوق , وكنّاه " ص" أبا محمد .

- كان عليه السلام كما حدّث أنس بن مالك : لم يكن أحد أشبه بالنبي من الحسن بن علي , لقّب بالسبط والزكي والمجتبى والسيّد والتقي .
- جاءت العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى فضله , فكان عليه السلام من مصاديق آية المودة وآية التطهير وآية المباهلة وسورة هل أتى ...
- جاءت الكثير من الأحاديث النبوية تشير إلى فضله ومنزلته عليه السلام , كقول النبي " ص " : اللهم إنّي أحبّه فأحبّه , وقوله " ص " : من سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنّة فلينظر إلى الحسن .
- عرف عليه السلام بعقله وعلمه وحلمه وكرمه وهيبته ووقاره وعبادته وتقواه وفصاحته وبلاغته وحكمته .. الخ , وفي ذلك شواهد كثيرة تؤخذ من مضانها .
- بعد حياة جده صلوات الله عليه , راقب عليه السلام إنقلاب القوم على الأعقاب وما تضمّن من إنحراف الرسالة عن مسارها الصحيح وكيف إغتصبت حقوق أهل البيت عليهم السلام العامة والخاصة إلى صالح بعض الأشخاص , ومنها إغتصاب الخلافة وفدك والهجوم على دار الزهراء عليها السلام وكسر ضلعها وإسقاط جنينها .....

- وبعد مدة قليلة من إســـتشـــهاد جده صــــلوات الله عليه , إنتقلت أمه الزهراء عليها السلام إلى الرفيق الأعلى حاملةً معها مصـائبها التي تكأدتها والتي وصفتها بأنـها (لو أنـها صبّت على الأيام صرن لياليا).
- بعد وفاة ابي بكر وبعد طعن عمر بن الخطاب , وبعد أن رتّب عمر الشـورى على النحو المعروف , قال للمرشحين : أحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من أمركم شـــيء , وأحضـــروا معكم الحســـن بن علي وعبدالله بن عباس ... وقَبِلَ الامام الحسن حضور جلسات الشورى ..
- في عهد عثمان شـــهد الامام " ع " وداع أبي ذر عندما نفي إلى الربذة , , وذكرت بعض المصــادر أنه قد إشــترك الحسنان عليهما السلام بفتوح أفريقيةٍ وطبرستان , إلّا أن بعض التحقيقـات تنفي ذلـك , معللـةً ذلـك بوجود بعض التجاوزات الت لا تمت إلى الدين بصـلة قد أقترفت في تلك الفتوحات ...
- شـهد عليه السـلام حصـار عثمان من قبل الثائرين , حيث بعث الامام أمير المؤمنين عليه السلام بالحسن والحسين عليهما السـلام للدفاع عنه , وقيل أن الامام الحســن عليه السلام قد جرح وخضّب بالدماء على باب عثمان من جرّاء رمي النـاس بـالســـهام على البـاب , وقـد أنكرت بعض التحقيقات ذلك , وبعد ذلك تسّـــور الناس الجدار وقتلوا عثمـان , بينمـا ينفي بعض المؤرخين ذلـك , كـالشـــريف المرتضـــى حيث يقول : إن كـان أنفذهمـا ليمنعـا انتهـاك حريمـه وتعمـد قتلـه ومنع حرمـه ونســـائـه من الطعـام والشراب ولم ينفذهما ليمنعا من مطالبته بالخلع .
- بعد أن بويع لأمير المؤمنين عليه الســـلام بالخلافة , كان عليه السلام شاهداً مع أبيه في مواقفه وهو يحاول إرجاع

خط الرسـالة الى مسـاره الحقيقي رغم القلاقل والفتن التي أثـارهـا قســـم ممن لم يعجبـه ذلـك كون ذلـك يتعـارض ومصـالحه الشـخصـية وأهوائـه النفسـية كعائشـة والزبير وطلحة ومعاوية والخوارج .

الفصل الثاني

من أوجه مظلومية الإمامة الحسنية المقدسة

من أوجه مظلومية الإمامة الحسنية المقدسة

الظلم : " هو إضـــاعة الحق و عدم تأدية ما هو الحق , سـواء كان في مورد نفسـه أو غيره أو في حقوق الله المتعال , وبالنسبة إلى ذوي العقلاء أو غيرهم , وفي حقوق مادية أو معنويـة أو روحـانيـة .فـالظلم في مورد النفس أعظم أنواع

الظلم , فإن مرجع جميعها إلى هذا النوع , وهو التقصير في تأدية حقوق النفس وإضاعتها , والمنع عن سيره إلى جهة الكمال , بالتعلق بالامور المادية الدنيوية"[1].

وأستطيع القول أن ممارسة البشرية لهذا الذنب البشع والخطأ الفادح هو سبب ميلها عن الجادة وعدم الإتيان بما يراد منها , وللظلم هذا أشكال ومراتب , فمن أشكاله مثلاً : أن يظلم الإنسان نفسه بأن يحكّم أهواءه وغرائزه على عقله وفطرته وعندئذ تراه يسير في مهاوي التسافل الإنساني والوقوع بوحل الدناءة والضعة , قال تعالى : {إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[2] . ومن أشكاله : أن تظلم الإمة نفسها وتحرمها من عدة إستحقاقات وتضيّع الفرصة على نفسها وتتبع طريقاً أخراً كان ينبغي أن لا تسكله , قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[3] . ومن أشكاله : أن تظلم الأمة إنساناً وتبالغ في ظلمه , فلا تعطيه حقه المترتب عليها بل توجه إليه كل ما لا يستحقه , قال تعالى : {قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ }[4]. ومن أشكاله : أن تظلم أمةٌ أمةً أخرى , مستغلةً تلك الامة الظالمة ضعف تلك الامة المظلومة في جانب معين , فتسلبها حقوقها , قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ

---

[1] التحقيق في كلمات لقران الكريم / العلامة مصطفوي : مادة ظلم
[2] يونس 44
[3] البقرة 54
[4] الشعراء 117

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ }[1] . ومن أشكال الظلم أيضاً : هو أن يظلم إنسانٌ أمة , فيستغل نفوذه بإستلاب حقوق أمة من الناس , قال تعالى : {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ }[2], وهنالك أشكال أخرى للظلم ليس هنا محل ذكرها ... ويمكننا أن نضع جدولاً لما ذكرناه آنفاً يبين لنا المظلوم وظالمه :

الظالم	المظلوم
الإنسان	نفس الإنسان
الإنسان	إنسان أخر
الإنسان	أمة
أمة	الأمة نفسها
أمة	أمة أخرى
أمة	إنسان

قلنا : هذه من أوضح وأبشع أنواع الظلم وهي ما تعنينا في بحثنا هذا.

والآن نعود إلى أوجه وأنواع المظلومية التي وجهت إلى الإمام الحسن صلوات الله عليه : ونقول .. إننا سنركز على أهمها, والتي تتصل بهدف بحثنا هذا الموسوم بعرض وإثبات

[1] ابراهيم 6

[2] القصص 76

دور الإمام الحسن عليه السلام في رسم وتحديد طريق الأمة الإســلامية من بعده ولو بشـــيء من العرض والإثبات , وإلاّ فـالإمـام عليـه الســـلام كـان ومـا زال يتعرض إلى أنواع المظلوميـات ونـذكر منهـا على وجـه العجالـة هو هدم قبره الشريف ومنع زائري جده صلى الله عليه وآله أن يستنشقوا من عبق الإمامة الحســـنية , كما قلنا بإذنا ســـنذكر هنا مظلوميتين هما :

أولاً : مظلومية الأمة للأمة : واجه الإمام عليه السلام وأهل بيته صـــلوات الله عليه ومن شـــايعهم من أصـــحابهم البررة الظلم من الأمة المنحرفة عن جادة الصـــواب والمنقلبة على الأعقاب , حيث لم يعطون حقهم ولم يأخذون وظيفتهم التي وظّفهم الله لها بل تجاوزت الأمة حتى على حقوقهم الخاصــة بل وصـــل الحال الى قتلهم ونهبهم وســـبيهم والتنكيل بهم ... الخ , وهذا أشهر من أن يذكر .. وهذا ظلم الأمة للأمة .
ثانياً : مظلومية الأمة للإنســان : وواجه الإمام عليه الســلام ظلم خاص من الأمة التي زحزحته عن دوره الإلهي وتآلبت ضـــده ووقفت أمّا متفرجة أو منحازة إلى معســـكر الظلم والجور الذي كان على رأســـه آنذاك معاوية لعنة الله عليه , وهذا ظلم الأمة للإنســـان, ومن بين أوجه الظلم داخل هذا الشكل والتي نرغب أن نركز عليها :

1. <u>عدم معرفة سياسته عليه السلام وطريقته في قيادة الأمة :</u>

وهذه المظلومية أدّت إلى عدة مظلوميات قد تجرّعها عليه السـلام في حياته وبعد إســتشـــهاده , فله عليه الســلام لوناً

وذوقاً سياسياً مميزاً لو إنتبهنا إلى آثاره لأصبحت بحق من صفاته وفضائله المميزة بدلاً مما حاول الأخرون أن يعرّفوه بها (كالكرم والتزويج والقعود ..الخ) بغية قتل تلك الصفة وتشويهها . فهو عليه السلام ممن خبر السياسة وطرق وأساليب قيادة الامة من معينها الصافي ومصدرها النقي , رأى كيف كان جده رسول الله صلى الله عليه وآله يسوس الامة وكيف جعلها تخرج من ظلام الجاهلية ووحل الاستضعاف إلى دولة هشّمت عروش كسرى وقيصر , كما عاش السياسات التي تلت قيادة جده صلوات الله عليه وعرف صحيحها وسقيمها وميّز الصالح منها والطالح , عاش مع أبيه عليه السلام وهو العالم بالسياسة وشؤون الامة وتدبيرها , كل ذلك وعلاوة على فضائله ومواهبه الربانية وطبيعة الظروف التي مرّت به وعصر تسلّم إمامته عليه السلام وخلافته جعلت منه ألمعياً سياسياً لا يشق له غبار .

فقد سأل عليه السلام عن رأيه في السياسة فقال : هي أن تراعى حقوق الله وحقوق الأحياء وحقوق الاموات , فأما حقوق الله : فأداء ما طلب والاجتناب عما نهى , وأما حقوق الاحياء : فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك ولا تتأخر عن خدمة أمتك , وأن تخلص لولي الأمر ما أخلص لأمته وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا حاد عن الطريق السوي , وأما حقوق الأموات فهي أن تذكر خيراتهم وتتغاضى عن مساوئهم فإن لهم رباً يحاسبهم .

ويعرّف عليه السلام الخليفة عندما قال له معاوية : أما انك يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة ... فقال عليه السلام : أمّا الخليفة فمن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم , وعمل بطاعة الله عز وجل , ليس الخليفة من سار بالجور وعطّل السنن واتخذ الدنيا أمّا وأبا , ولكن

ذلك أمر مَلِك أصاب مُلْكاً فتمتع به قليلا وكان قد انقطع عنه , فاتخم لذته وبقيت عليه تبعته وكان كما قال الله تبارك وتعالى :ـ{وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ }[1], وأومأ بيده الى معاوية ثم قام وانصرف [2]

2. الجهل بالظروف الزمانية والمكانية الملائمة بتطبيق السياسة الحسنية المباركة .

وهذه المظلومية الثانية التي نسجّلها داخل مجمل المظلوميات التي رتبتها الامة ولا زالت على الامامة الحسنية المقدسة , فحتى من علم مقاصد الامام الحسن عليه السلام في قيامه أو قعوده أو آرائه وقراراته في قيادة الامة وسياسة الدولة وتدبير أمور الناس فإنه يقع في خطأ معرفة تطبيق تلك السياسات ومعرفة وقتها والزمان المناسب لها , فتراه يريد أن يكون حَسَني المنهج في زمن يستدعي تصرف الامام الحسين عليه السلام عندما تولّى يزيد بن معاوية عليه لعنة الله سياسة الامة أو العكس , وهكذا بالنسبة لأدوار الائمة عليهم السلام , فيجب أن نعرف زمان كل إمام كوجوب معرفة الأحكام والسنن والتدابير الواصلة لنا منهم , وإلا فلا يمكننا أن نفعل شيء بل لا يمكننا أن ندّعي السير وفق منهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام , فطبيعة السياسات بعضها إبتدائية إبتدارية ملائمة للظروف المتاحة والغايات المطلوبة في تلك المرحلة , وبعضها الاخر سياسات رادعة لسياسات أخرى موجودة في الساحة وموضوعة لغرض مواجهتها , وهو عليه السلام قد راعى تلك

---

[1] **الانبياء 1111**

[2] **الاحتجاج ج2 , ص52**

السياسات وفقاً للظروف الخاصة والسياسات الاخرى المتوفرة .

3. <u>عدم تركيز فكرة إندماج القضيتين الحسنية والحسينية وأن الطف بدأت من النخيلة (حيث عسكر الامام الحسن عليه السلام) .</u>

لا شك أن أدوار أهل البيت عليهم السلام تمثل بمجموعها مسلسل إلهي محكم ومتشابه يهدف إلى كل ما يهدف إليه الإسلام من الخروج من طاغوت النفس والشيطان والتحرر كذلك من طاغوت الإنسان والسير والتحرك إلى عبادة الرحمن ... إلّا أن أدوارهم صلوات الله عليهم تختلف شكلاً (لا مضموناً) وفقاً للمصلحة والظرف والحكمة التي يدركونها في حينها وبشكل لو كان أحدهم مكان وزمان الأخر لفعل فعل الأخر بلا أدنى شك , وعليه .. فقضية اللاحق منهم تكون مكملة للسابق صلوات الله عليهم أجمعين, وهم مكملون لدور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

نعم .. بعض الأئمة يمرّ عليهم زمان وظرف متقارب نوعاً ما ومتشابه إلى حد كبير فيكون دور أحدهما مكمل للأخر وبشكل أوضح وأبين وكما هو الحال بالنسبة لدور الإمام علي عليه السلام وأبنيه الأمامين الحسن والحسين عليهما السلام , فبرز دورهما في التصدي ومحاربة الخارج عن النظام الإسلامي ورأي وولاية المسلمين بشتى أنواع التصدي , وكذلك بالنسبة للدور الذي قام به الأئمة عليهم السلام (السجاد والباقر والصادق وحتى الإمام العسكري صلوات الله عليهما) حيث نلاحظ نشر علوم أهل البيت والمحافظة على الجماعة الصالحة والمؤمنة هو السمة البارزة لهم , وكذلك بالنسبة للإمام الهادي والعسكري ودورهم في التمهيد للغيبة وهكذا ....

أما بالنسبة للأمامين الهمامين الحسن والحسين عليهما السلام فقد أحكما خطة بعد أبيهما وهي إمتداداً لخطته صلوات الله عليه بل إمتداداً لخطة بدأها رسول الله صلوات الله عليه تستهدف فضح وإستئصال بني أمية ومذهبهم ومشربهم ومن دار حولهم ... وهذا ما سنبيّنه لاحقاً بالتفصيل إنشاء الله تعالى ...ولكن نقول هنا بإختصار وإقتضاب أن الطف هي المعركة المؤجّلة للإمام الحسن عليه السلام ..

4. <u>إسباغ صفة القعود على الامام الحسن عليه السلام وصفة القيام على الامام الحسين عليه السلام إنطلاقاً من حديث جدهما ص بأنهما إمامان قاما أو قعدا</u> .

وهذا من أغبى ما ينسب إلى الإمام الحسن صلوات الله عليه وإن حاول الناسب الأول ان يكون فطنا .

فمن حديث منسوب إلى رسول الله صلوات الله عليه حيكت هذه المؤامرة وهذا هو ديدنهم فإنهم إن لم يحرفوّا الكلم عن مواضعه فيعمدون إلى تحريف المعنى ... إشتهر عنه صلوات الله عليه بأن الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا .. فلّما كان الإمام الحسين عليه السلام قتل بالسيف وأثناء منازلة البغاة فلا بد أن يكون القاعد هو الامام الحسن عليه السلام وهو بهذا يريد أن ينسب له صفة القعود والتقاعس عن الواجب وإيثار العافية على القتل ولكن أنّا يكون لهم هذا ...؟ فلقد شهد المسلمون مواقف الامام الحسن عليه السلام وهو مدافعاً عن الدين تارة أمام الكفر وتارة أمام النفاق , وحتى أن إستلم الإمامة والخلافة فلم يهدأ له بال , فأعلن الحرب والقيام ضد الخارجين عن توحيد كلمة الامة , فعبّأ وجهز وحشّد وتقدم وعسكر ولكن تبقى مصلحة الإسلام ومصلحة التيار الصالح والخط

المؤمن هو الحاكم وأن المواقف تدور حيث يدور وهذا ما سنبينه إنشاء الله تعالى , أما من يقول كيف توجهون لنا حديث الرسول صلى الله عليه وآله فنقول ...

أولاً : أن الرسول الأكرم صلوات الله عليه ليس في معرض التكلم والتنبأ عن تأريخ الإمامين المستقبلي , وإنما يهدف الحديث (وحسب ماندرك) إلى تثبيت أصل معين وهو إمامتهما عليهما السلام .

ثانياً : وليس بعيداً عن النقطة الأولى فإنه إتماماً للأصل الأول الذي تم تثبيته أراد صلوات الله عليه أن يؤكد ويرسّخ وجوب طاعة هذين الإمامين والسير خلفهما في كل الأحوال ولهذا عبّر بقوله (قاما أو قعدا) .

ثالثاً : الحديث ينسب القيام والقعود إلى كل منهما , بمعنى يمكننا أن نقول هنالك تنبأ منه صلوات الله عليه بأن كل منهما سيقوم وسيقعد , وهذا واضح , فعندما صالح الإمام الحسن عليه السلام كان الامام الحسين عليه السلام موجوداً .. بل حتى بعد أن استشهد الامام الحسن عليه السلام وأصبح الإمام الحسين عليه السلام هو الإمام الفعلي فإنه لم يعلن الحرب والقيام حتى هلاك الملعون معاوية وتولي يزيد بعده , أي أكثر من عشرة سنوات ... ورب قائل يقول أن الإمام الحسن عليه السلام قد ألزم أخيه الحسين عليه السلام بمعاهدة مع معاوية لا يمكنه تجاوزها ... نقول أن معاوية أعلن خرق جميع شروطها في أول أيامها ولم يبق لها أي شرط لازم ...

وخلاصة هذا الحديث هي : أن التأريخ يؤوّل لنا الحديث بأن كل منهما سيقوم وسيقعد وحسب ما تفرضه الظروف والمصلحة , أي

لم يتنبأ صـلوات الله عليه بأن أحدهما سـيقوم والأخر سـيقعد , والله العالم ..

الفصل الثالث

تنوّع الظروف التي عاشها الإمام عليه السلام خلال حياته

الفصل الثالث
تنوع الظروف التي مرّ بها الإمام عليه السلام

كانت حياة الأئمة (علي أمير المؤمنين عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام) حياةً حافلة وغنية بتعدد وتغير الظروف التي مرّوا بها ومرت بهم صلوات الله عليهم , وذلك كونهم عاشوا وتفاعلوا بل كانوا قطباً من أقطاب الدعوة الاسلامية وبناء الدولة أيام الرسول الأكرم صلى الله عليه واله وسلم وكذلك ما عقب حياة النبي من أحداث وظروف في أيام " الخلفاء " وما تضمنته من حروب داخل وخارج الإطار الإسلامي وعلى المستويات : العقائدية والتشريعية والفكرية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية .... ماشئت فقل ...

فهذا التنوع الشــامل لكل الأبعاد وتقلب الظروف إذا صــحبته أمور من أهمها :

1. المعايشة عن قرب بل على المحك كما يعبرون أو المعايشة في قلب الحدث كما يعبر عنه أيضاً والإطلاع عن قرب .
2. إذا كان المتعايش يمتلك من أدوات الإســتلهام وأخذ العبر والدروس الناتجة من المراقبة والملاحظة والتســجيل والذي يعقبه التحليل والخروج بنتائج وثمرات ...

إذا ما تحققت هذه الأمور في شخص فإنه بلا شك سيخرج ذلك الشخص وله من العلم والمعرفة وحسن التدبير والحذاقة في العمل وإتخاذ القرار الشيء الكبير جداً .

وهذا ما نعتقده بالإمام الحسن عليه السلام , فإن حياته كما أســلفنا غنية وحافلة بالمتغيرات , وأنه كان في قلب تلك الأحداث , وأن لديه من دقة الملاحظة وأدوات المعرفة ما لا يدرك ... وبالتالي نكون نحن أمام شــخصــية عظيمة يجب الوقوف عندها بالتفصــيل وتحليل حركتها بإمعان والخروج من هذا الإرث الغني بما ينفعنا ... وأن عدم الإكتراث لكل ذلك يعتبر بلاهة وتفريط لا يحمد عقباه ... هذا إجمال ... أما تفصيل ذلك فسنذكره من خلال محورين :

المحور الأول : شــيء من تفاصــيل الظروف التي مرّ بها الإمام الحسن عليه السلام وتنوعها .
المحور الثاني : فضائل الإمام الحسن عليه السلام ومواهبه .

أولاً : الظروف التي عاشها الإمام عليه السلام

وسـنذكرها هنا بنقاط لغرض الإختصـار وسـهولة القراءة ...

- ولد الامام عليه السلام في أحضان بيت النبوة .. ذلك البيت الذي فتح فيه عينيه صلوات الله عليه ولا زال يرسّخ جذور الدين الاســلامي ويزرع عقائده وأحكامه في الوقت الذي يحاول هذا البيت الإلهي أن يقلع جذور الجاهلية العمياء الضـاربة بأطنابها في اعماق الارض وإلى عنان السماء , فترعرع في أحضــان جده وأبيه اللذان جد جدهم وهم يحـاربـان المشــركين ويقـاومـان المنـافقين ويبـاهلان المشككين والمرتابين , فتارة بكلمة وأخرى بسيف وثالثة بمعجزة ورابعة ببرهان عقلي وخامســة بإثبات تأريخي وسادسة بدليل وجداني .... الخ .
- عاش صلوات الله عليه في كنف جده رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم سـبع سـنوات وسـتة أشـهر من عمره الشـريف , إسـتطاع عليه السـلام في هذه المدة أن يكون صــورة مصــغرة من جده حتى قال له الرســول (ص) : أشبهت خلقي وخلقي .
- ولد في بيت لا يبيت عنده الدرهم والدينار , بيت يجوع أكثر مما يشبع تارة زهدا وإيثار وأخرى عوزاً وإفتقار ...
- ولد في بيت جد وعمل وتكافل وتعاون وتقاســم للهموم وكدح في مواجهة الحياة ..وكذلك بيت كرم ومروءة ومجد وشموخ ورقي وتسامي في الاخلاق وحب الناس ...

- ولد في بيت هو الاقرب الى الله جل وعلا , ليلهم ونهارهم قيام وصيام وتصدق وتعليم أحكام , الكلمة الطيبة ديدنهم ومدْ يد العون شأنهم والحلم والعلم والعمل صفتهم ...
- عاش في خير عصر وخير صحابة , شمّ ريح النبوة وتغذّى من رحيق الرسالة وعاين عن كثب حركات وسكنات تلك الثلة المجاهدة والصابرة والتي كان يقودها خير الخلق على الإطلاق والتي كانت تسجل دستور الانسانية بأنامل أيديها وتسن السنن وتشرع الاحكام التي شاء لها القدر أن تكون عاملة الى يوم القيامة ونافذة إلى نهاية الدنيا ...
- عاش أيضاً فترة ما بعد أن فارق الرسول الاكرم صلى الله عليه واله الحياة واستودع الدين إلى أهله , وعاين كيف تصرّف المسلمون بعده وكيف أخذتهم القلاقل والهزائز , لاحظ كيف بدأ يرتسم الخط الفاصل بين الحق والباطل وعاين كيف يتسع ذلك الخط وتتورم تلك الفجوة والهوة ...
- عاش المحنة التي عاشها الإسلام وحمَلَة الإسلام الحقيقيين بعد رسول الإسلام صلوات الله عليه , وبدأ معهم حياة الدفاع عن ذلك البناء الذي شيده المسلمون الأوائل بدمائهم وأموالهم وأولادهم وأرضهم وكل كيانهم ...
- عاش حروب داخل الإطار الإسلامي وعلى مستوى المرتدين والمنافقين والناكثين والقاسطين والمارقين وكذلك حروب ما يسمى بالفتح الإسلامي خارج ذلك الإطار ...
- عاش حروب الفكر والعقيدة وتبادل الشبهات وزرع بذور الارتداد والتشكيك والتحريف والتشويه ومحاولة نخر كيان الأمة المعنوي والعقائدي .

وأخيراً نقول ... للإمام عليه السلام موطأ قدم في خضّم جميع الأحداث أو عاش مع من عاش جميع الأحداث من بداية الدعوة الإسلامية ومروراً بالدولة الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه واله وكذلك من إدّعى خلافته وما تضمنته من أحداث وتقلبات وتجاذبات وحتى خلافة أبيه عليه السلام وما لحقها من أدوار وأطوار إلى أن عقدت الأمة رأيها في تنصيبه خليفةً عليها .... تعلّم وعلّم , وحارب وحورب , حاجج وباهل , كان تابعا ومتبوعا , بايع وبويع , أفتقر واستغنى , دافع عن المظلومين وناله سهم المظلومين , كان شاهداً على أحداث عصره وشهيداً في سبيل دينه ومبدأه ...

هذا هو الأمر الأول قد تحقق بالإمام الحسن عليه السلام والذي يشمل تغير وتبدل الظروف وعلى إختلاف تنوعها وكذلك أن يكون معايشاً لها وشاهداً على أحداثها بالتفصيل ..

ثانياً : فضائله ومواهبه عليه السلام ..

قلنا بأن الأمر الثاني الضروري والمكمّل للأمر الأول هو أن يكون ذا قدرة على الاستفادة من تلك التغيرات والتقلبات وأن تكون لديه الأدوات الكافية والضرورية لتحليل ودراسة واستيعاب تلك الظروف علاوة على أساليب الاستفادة وتطبيق المكتسبات ... وسنذكر هنا بعض ما ورد من فضائله عليه سلام الله :

- العقل : عن النبي الأكرم (ص) : لو كان العقل رجلاً لكان الحسن [1].

[1] فرائد السمطين ج2 ص68

- العلم : جاء رجل إلى الحسن والحسين عليهما السلام فسألهما فقالا : إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : لحاجة مجحفة أو لحمالة مثقلة أو دين فادح , فأعطياه , ثم أتى ابن عمر فأعطاه ولم يسأله , فقال له الرجل : أتيت ابني عمّك فسألاني ولم تسألني , فقال ابن عمر : أنبأنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إنهما كانا يغُران العلم غرّا[1] (يغران : يزقان) .
- الحلم : لمّا مات الحسن بن علي عليه السلام بكى مروان في جنازته , فقال الحسين عليه السلام : أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟ فقال : إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا ــ وأشار بيده إلى الجبل , قال ابن شهر آشوب : ومن حلمه ما روى المبرد ، وابن عائشة أن شاميا رآه راكبا فجعل يلعنه والحسن لا يرد فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلم عليه وضحك فقال : أيها الشيخ أظنك غريبا ، ولعلك شبهت ؛ فلو استعتبتنا أعتبناك ، ولو سألتنا أعطيناك ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا أحملناك ، وإن كنت جائعا أشبعناك ، وإن كنت عريانا كسوناك ، وإن كنت محتاجا أغنيناك ، وإن كنت طريدا آويناك ، وإن كان لك حاجة قضيناها لك ، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك ، لأن لنا موضعا رحبا وجاها عريضا ومالا كثيرا, فلما سمع الرجل كلامه ، بكى ثم قال : أشهد أنك خليفة الله في أرضه ، الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي وحول رحله إليه ، وكان ضيفه إلى أن ارتحل ، وصار معتقدا لمحبتهم.

---

[1] تاريخ بغداد ج9, ص366

- الشـجاعة : هو ابن اشـجع الصـحابة على الإطلاق بل هو ابن قتّـال العرب على حـد تعبير الأعـداء , يـذكر بعض المؤرخين مشاركته عليه السلام في حروب المسلمين في أواخر أيام عمر بن الخطاب وأيام عثمان بن عفان وأيام خلافة أبيه عليهما الســـلام , قائداً ورجل حرب , إلا أن بعض التحقيقات تميل إلى نفي مشـــاركة الحســـنين في حروب الفتوحات الإســـلامية لعدم خلّوها من التجاوزات الشـــرعية[1] , أمّا في عهد أبيه فمما يذكر هنا : في حرب الجمل دعا أمير المؤمنين عليه السلام في ضراوة الحرب ابنه محمد بن الحنفية بإعطائه رمحه وقال له : " اقصـــد بهذا الرمح الجمل " , فأخذ الرمح وحمل على العدو فصدّه بنو ضـــبّه , فتراجع عن موقفه وجاء الى والده فانتزع الامام الحسن عليه السلام رمحه من يده وقصد قلب العدو وأصحاب الجمل , وبعد قتال ضـار وبطولة فائقة رجع الى والده بأثر الدم , ولما رأى ابن الحنفية شـــجاعة أخيه تغيّرت ملامح وجهـه خجلاً فقـال لـه أمير المؤمنين عليـه السلام :" لا تأنف فإنه ابن النبي وأنت ابن علي "[2] , وفي صـفين : فكما يذكر أن الإمام أمير المؤمنين عليه السـلام جعل الميمنة بقيادة الإمام الحســـن عليه الســـلام وأخيه الحسين عليه السلام وعبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل .
- الكرم : وهذه من أشـهر فضـائله صـلوات الله عليه , فكان عليه الســلام ســخي النفس , فلقد كان يخرج من ماله في سـبيل الله ولأكثر من مرة وينفق كل ما يملك .. ويروى أنـه أتـاه رجـل في حـاجـة فقـال لـه : اكتـب حـاجتـك في رقعـة

---

[1] للمزيد راجع سلسلة اعلام الهداية , الجزء الخاص بحياة الامام الحسن ع .
[2] راجع بحار الانوار ج43, ص345

وارفعها الينا , فكتبها إليه فضـــاعفها له , فقال له بعض جلسائه : ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله , فقال : بركتها علينا أعظم حين جَعَلَنا للمعروف اهلاً , أما علمت أن المعروف ما كان ابتداء من غير مســألة , فأما من أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه وعســى أن يكون بات ليلته متململاً أرقاً يميل بين اليأس والرجاء لا يعلم بما يرجع من حاجته أبكآبة الرد أم بسرور النجح فيأتيك وفرائصـــه ترعد وقلبه خائف يخفق فإن قضـــيت له حاجته فيما بذل وجهه فإن ذلك أعظم مما نال من معروفك .

- تواضعه : ويذكر له في ذلك صلوات الله عليه عدة مواقف , حيث كان يجلس ويأكل على التراب مع الفقراء وهو يقول : إن الله لا يحب المتكبرين , ثم يدعوهم بعد ذلك إلى ضيافته ويغدق عليهم من عطاياه .
- حكمته : وهنا نذكر بعض اقواله وحكمه في مختلف الامور :

1. في المشاروة : يقول عليه السلام : ما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم .
2. في معنى اللؤم : يقول عليه الســلام : اللؤم أن لا تشــكر النعمة .
3. في شروط إتخاذ الصديق : يقول عليه السلام لبعض ولده : يا بني لا تواخ أحداً حتى تعرف موارده ومصـــادره فإذا استنبطت الخبرة ورضيت العشرة فآخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة .
4. في طلب الرزق : يقول عليه الســلام : لا تجاهد الطلب جهاد الغالب , ولا تتكل على القدر اتكال المســتســلم ,فإن

ابتغاء الفضـل من السـنّة , والإجمال في الطلب من العفّة , وليست العفّة بدافعة رزقا , ولا الحرص بجالب فضلا , فإن الرزق مقسوم , واستعمال الحرص استعمال المآثم .

5. في معنى الخير : يقول عليه السـلام : الخير الذي لا شـر فيه : الشكر مع النعمة والصبر على النازلة .

6. وصف علاقة العبد بربه : يصفها عليه السلام : ما أعرف أحداً إلا وهو أحمق بينه وبين ربه .

إلى غيرها من الحكم والأقوال التي تحتاج إلى مصّنف خاص بها ..

الخلاصـــة : بيت القصـــيد من هذا الفصـــل هو : أن تنّوع الظروف التي مرّ بها الإمام الحســـن عليه الســـلام وتعددها وكـذلـك وجوده صـــلوات الله عليـه في قلي تلـك الأحـداث والـظـروف وأخـيـراً تـوفـر ألأدوات والـمـؤهـلات الـلازمــة لإستخلاص العبر والدروس والإستفادة من التجارب ... يجعل من الإمام عليه السلام شخصية غير عادية بحيث يجب تحليل كل فعل يفعله أو تصرف يتصرفه وأخذ الفائدة منه .

الفصل الرابع

من تأصيلات الإمامة الحسنية المقدسة

الفصل الرابع
من تأصيلات الإمامة الحسنية المقدسة

في معنى التأصـيل :التأصـيل : هو جعل الشـيء أصـلاً , وهنا أردناه بمعاني عدة من أهمها :

1. سن سنة حسنة غير متبعة ولا متخذة سابقاً .
2. إماتة سنة سيئة جرت عليها العادة .
3. إحياء وإنعاش سنة حسنة قد عطلت أو أهملت أو حوربت .
4. إضعاف سنة سيئة مدعومة من قبل بعض الناس السيئين .

والسُـنّة هنا قد تكون عملاً عبادياً , أو قانوناً وضـعياً , أو ترسيخ فكرة معينة وإماتة أخرى , أو طريقة عمل أو إسلوب أداء .... الخ , ولقد ندبنا الدين الإسـلامي إلى سـن السـنن الحسنة وتأصيلها في النفس والمجتمع وكذلك مقاومة السنن السيئة وإماتتها , وعادة ما يرافق سن السنن أو ما يقابلها من مقاومة سنن بذل الجهد والعناء وتحمّل الأذى في النفس والجسـد والمال بل حتى بالأهل والمعية , وعادة ما تنتاب المشـتغل بذلك حالات ضـعف وقنوط إلّا إنها سـرعان ما تنكشف الضائقة خاصةً إذا كان صاحبها ذا إيمان وإعتقاد بما يريده وكذلك قوة وإرادة ورباطة جأش ومطاولة بالعمل ... وهذا هو حال الأنبياء والأوصياء والصلحاء , حيث ومن أجل ترسـيخ مبدأ عبادة الله وطاعته وتأصـيل إرادة السـماء في المجتمع البشـري تحملّوا مـا تحملوه من أذىً بـأعلى المستويات , فقُتّلوا وشرُدوا وسُجنوا وكُذّبوا واستُهزء بهم . وكذلك من طبيعة السـنن (إحياء أو إماتة) تكون في بداية أمرها صـعبة وكبيرة على الأخرين وتحتاج إلى ترويض للنفس وتدرج في العمل , وتحتاج أيضاً إلى محفّزات مناسبة وطبيعة المهمة الجديدة , فليس من السـهل الإعراض عن

عمل معين قد ألفت عليه النفس أو الجماعة لفترة طويلة , وكذلك ليس من السهل أيضاً القيام بعمل جديد والمداومة عليه بعد أن كان غائباً عن جدولة الحياة الروتيني إذا صح التعبير , قال تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ }[1], وقال تعالى : {قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }[2], ولهذا فإن الطبقة الأولى المستننة بالسنّة الجديدة تضاهي بالفضل من سن السنة كون معاناتهم في التطبيق عادةً ما تكون أكبر وأعظم مقارنةً بالطبقات اللاحقة , قال تعالى :{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }[3]. وكذلك سن السنن يحتاج إلى إخلاص بالعمل وكلما كان العمل خالياً من شوائب الأعمال كالرياء وحب الشهرة أو لكسب الجاه أو المال أو للتقرب زلفى إلى محلوق معين ... كلما كان كذلك كلما كان العمل أكثر توفيقاً ونجاحا , ولهذا كان الأنبياء لا يريدون من أعمالهم وما بذلوه فيها من جهد ونصب أي أجر , فكان شعارهم : {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ}[4], وكذلك يحتاج صاحب السنة إلى الإلتزام بما يأمر به أو ينهى عنه قبل أن يأمر الآخرين به , قال تعالى على لسان نبي الله شعيب عليه السلام : {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن

---

[1] البقرة 170
[2] الاعراف 70
[3] الحديد 10
[4] الشعراء 145

كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[1].

وكما أن هنالك تأصيلات حسنة ومحاولة إماتة تأصيلات سيئة , فهنالك بالمقابل تأصيلات سيئة ومحاولة إماتة وقتل التأصيلات الحسنة , فقوم لوط مثلاً ينسب لهم القرآن سابقة خطيرة وتأصيل لفاحشة بدأوها هم وإستمرت إلى يومنا هذا , قال تعالى : {وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ , إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ }[2], ولهذا ... فالحذر كل الحذر ...! من أن يجد الإنسان نفسه مسناً لسنة سيئة تبقى من بعده ومتحملاً لوزره ووزر من عمل بها , قال تعالى : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ , وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ }[3] .

---

[1] هود 88
[2] الاعراف 80, 80
[3] العنكبوت 12,13

من تأصيلات الإمام الحسن عليه السلام

تطرقنا في الفصل السابق أن الإمام الحسن عليه السلام تميز بعدة ميزات جعلت منه شخصية مؤهلة للإتباع ولا يحسن للمهتم والمشتغل في نفسه ودينه ومجتمعه أن لا ينهل منها إن كان ذلك الإهتمام وذلك الإشتغال صادقا , وقلنا أن : تنوّع الظروف ومعايشتها بتفاصيلها وتوفر أدوات الإستفادة هي من موجبات تكوين الشخصية القدوة فيه عليه السلام ... هنا في هذا الفصل سنتقدم خطوة إلى الأمام .. هذه الخطوة تتمثل بأعمال قام بها الإمام الحسن عليه السلام وعلى مستوى الأمة الإسلامية وستؤثر فيما بعد على مستوى العالم بل الكون أجمع ألزم الأجيال التي جاءت بعده في السير على آثارها ونتائجها وبشكل إضطراري وخارج إرادتها وسواء رضت بذلك أم رفضت ... أي أن الإمام عليه السلام جعل من نفسه قدوتين .. إجبارية إذا صح التعبير , وأخرى إختيارية .. وهذا من عظمته صلوات الله عليه ...هذه الأمور ذات الصفة الإجبارية في الإتباع هي ما أسميناها هنا ب (التأصيلات) , وعليه فعند دراسة سيرة الامام الحسن عليه السلام دراسة تحليل وإمعان نظر وإستقصاء نتائج تجد

أن كثيراً من الأمور تكون قد أصّلها عليه السلام أو شرع بها وأنهج منهجها , وهذه الأصـول تتميز بعضـها بتغيير ملامح التأريخ والمجتمع الإسلامي بنحو معين مخالف عما سبقه , بل الملاحظ من سـيرته أنه كان همّه إحياء الحق وإماتة الباطل , ولكنه صـلوات الله عليه نال ما نال من ذلك , فمن جواب له لمعاوية عليه لعائن الله : أما بعد فان خطبي انتهى إلى اليأس من حق احييه وباطل اميته، وخطبك خطب من انتهى إلى مراده، وإنني أعتزل هذا الامر، واخليه لك، وإن كان تخليتي إياه شرا لك في معادك، ولي شروط أشترطها، لا تبهظك إن وفيت لي بها بعهد ولا تخف إن غدرت.... وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل، أو قعد عن الحق حين لم ينفع الندم، والسلام.

وهنا سـنذكر بحدود ما يمّن علينا به الله جل وعلا بذكر بعضها :

أولاً : إســتطاع عليه الســـلام أن يحرر إمامة المســـلمين الروحية والدينية من الخلافة الإسلامية المغتصبة .

أن الخلافة المنحرفة بعد رسـول الله صـلى الله عليه وآله قد جرفت معها قيادة المســـلمين الدينية والدنيوية , فالخليفة هو خليفة الرســول بكل شـــيء , بالأحكام والقضـــاء وقيادة الجيش وفرض الضــرائب ... الخ , وهذا ما نجده في الخلفاء الذين عقبوا رســـول الله صـــلى الله عليه واله وســـلم , فهو القاضـــي الشـــرعي وهو حاكم الدولة , أمّا ما فعله الإمام الحســن عليه الســلام بعد صــلحه المشــهور مع معاوية فقد إســـتطاع أن يجعل معاوية والخلفاء الذين جاءوا من بعده ملوكاً مجردين من أغلب الصـــلاحيات ذات الصـــبغة الدينية البحتة , جعل عليه السلام الخلافة المنحرفة حكومة تصريف أمور المســـلمين لا أكثر , وهذا ما إعترف به الجميع , وأول من إعترف معاوية بذلك , فيقول بعد الصـــلح : رضـــينا بها مُلكاً , ويقول أيضـــاً : أنا أول الملوك . ويروى أن ســـعد ابن ابي وقاص دخل على معاوية بعد أن اســـتقر له الامر فقال له : الســـلام عليك ايها الملك , فضــحك معاوية وقال : وما كان عليك يا ابا اسحق لو قلت : يا أمير المؤمنين , قال : أتقولها جذلان ضاحكا , والله ما أحب انى وليتها به .

وهذا الدميري في حياة الحيوان الكبرى عندما يترجم حياة الامام الحسن عليه السلام يقول : وكانت خلافته ستة أشهر وخمســة أيام وقيل ســتة أشــهر إلا أياما وهي تكملة ما ذكره رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم من مدة الخلافة " ثم يكون ملكاً عضوضاً , ثم يكون جبروتاً وفساداً في الأرض " وكان

كما قال رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم .. (انتهى كلام الدميري) .
امّا اليعقوبي في تأريخه فكان دقيقاً , فعادته في بداية ترجمة الخلفاء يقول (استخلف أو أجتمعت الامة ..) , ولكنه عند معاوية وما بعده بدأ يقول (وملك معاوية ... وملك يزيد ... الخ ... فراجع وتدبر..!
وأمّا الســـيوطي في تأريخ الخلفاء فيذكر عند ترجمته لمعاوية : أخرج ابن أبي شيبة في " المصنّف " عن سعيد بن جمهان قال : قلت لســـفينة : إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم : قال : كذب بنو الزرقاء , بل هم ملوك من أشدّ الملوك , وأول الملوك معاوية ..(انتهى كلام السيوطي) .
وهذا من أعظم الأمور وأكبر الإنجازات الإســـلامية بعد رســـول الله صـــلى الله عليه وآله وســـلم ولعل أكبر الحروب والمعارك لا تستطيع كسبها , فالأميون والعباسيون لم يكونوا خلفاء كأبي بكر وعمر .. وإنما كانوا ملوكاً جلّ ديدنهم هو الجاه والتســـلط , ولهذا نلاحظ أن المذاهب الإســـلامية قد تفرّعت وتشعبت وأن الخليفة (أو الملك) لا شأن له بها ما دامت ليست معارضة لملكه وحكومته .
وهنا لا بد لنا القول بأن هذا الإنجاز لم يتحقق من خلال بنود الصـــلح نفســـها , حيث أن معاوية قد نقضـــها بعد ذلك وحســـب تعبيره قد جعلها تحت قدميه ولم يفي بشـــيء منها ولكن الصـــلح برمته لمّا صـــار إضـطراراً وعلى غير وجهه الشرعي الطبيعي وأن معاوية قد خرج على خليفة المسلمين الشـــرعي من جانب ومن جانب أخر فإنه قد إســـتخدم أقبح أساليب المكر والخديعة والتي لا تمت إلى الإسلام بصلة ومن جانب ثالث هو أن معاوية بعد تسلّمه زمام الأمور قد أصحر وبانت للناس أفعاله وتجاوزاته الشـــرعية , كل ذلك جعل

معاوية مسـلوباً عنِ الصـفة الدينية وغير معروفاً بها فضـلاً عن أن يكون خليفة لرسـول الله صـلوات الله عليه , ومن هنا ظهرت الحاجة إلى البحث عن خليفة لرســول الله صــلى الله عليه وآله في الجوانب التي تتعلق بالدين .

في عهد الإمام الحسن عليه السلام أصبح إنحراف الخلافة الإسـلامية واضـحاً بعد أن كان مبهماً على المسـلمين وغير جلياً , وهذا الوضوح قد إستغله عليه السلام وإستثمره خير إســتثمار من خلال الحصـول على هذا المنجز وتأصـيل هذا الأصل , صار صلح الإمام الحسن عليه السلام بمثابة الضوء الذي أضـاء للناس حقيقة بني أميّة وإدعاءاتهم وهذا تأصـيل أخر سنبيّنه بعد قليل ..

ثانياً : كشف الستار بشكل كامل عن الجانب المنحرف :

كما قلنا بأنه بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه واله وسلم وبعد أن إنحرفت الخلافة عن مسـارها الصـحيح لم تكن الأمة بتلك الثقافة العالية والمسـتوعبة بأن خط القيادة الإسـلامية هو بيد غير أهله , إلا القليل جداً ممن يدرك هذه الحقيقة , فالجهل بهذه الحقيقة من أخطر الأمراض التي أصابت الجسد الاسلامي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله , وقد عالج ذلك الامام الحســن عليه الســلام , فصــلحه مع معاوية ووضــع معاوية تحت عدسـة المجهر الجماهيري (إذا صـح التعبير)

حيث ترى النـاس أنـه نـاكثـاً للعهود غير مهتم بـأمور دينـهم محباً للسـلطة والجاه ويسـعى إلى توريث إدارة شـؤون الامة إلى عقبه .... غير ليالي الشـــام الحمراء وإســـتنفاذ أموال المسلمين لرغباته غير المشروعة , أعطت قناعة لدى الناس بأن هذا النموذج لا يمكن أن يكون خليفةً لرسـول الله وراعياً لدين وعباد الله . فيذكر طه حسين في كتابه علي وبنوه[1] حال الناس عندما تبين لهم ماهو معاوية : وقد جعل اهل العراق يذكرون حياتهم ايام علي فيحزنون عليها , ويندمون على ما كان من تفريطهم في جنب خليفتهم ويندمون كذلك على ما كان من الصــلح بينهم وبين اهل الشـــام وجعلوا كلما لقي بعضـهم بعضـا تلاوموا فيما كان وأجالوا الرأي فيما يمكن أن يكون ولم تكد تمضي اعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفد الى المدينة للقاء الحسن والقول له والاستماع منه .. وهذا أيضاً من أكبر الاعمال التي قام بها الامام الحســن عليه الســلام , فقد جرّد بردة التنكّر بـالـدين تجرداً لا رجعـة لهـا أبـداً رغم المحاولات اليائســـة في إســـترجاع المشـــروعية من خلال الأحاديث المكذوبة وعلى رأســها طاعة ولي الامر واجبة بر كان أو فاجر , وفجور معاوية بل ســوء كل من جاء بعده هو ما يصـــرح به العامة والخاصـــة ومنذ عصـــر تولي معاوية وحتى أخر التحقيقات المعاصرة , حيث سجلوا له السابقة في كثير من الأمور القبيحة ... فمثلاً ..

- أوّل من نقص التكبير معاوية .
- أول من اتخذ الخصيان لخاصة خدمته .
- وأول من قيل له من الخلفاء – الصلاة يرحمك الله –
- وأول من استحلف في البيعة (أي استحلفهم بالله) .

---

[1] ص188

- **أول من خطب الناس قاعداً , وذلك حين كثر شحمه وعظم بطنه .**
- **أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد .**
- **أول من أحدث الأذان في العيد .**

ويصرح طه حسين في مكان اخر ويعترف بنجاح الخطة الحسنية في فضح ال أمية عند العامة حيث يقول : عظم أمر الشيعة فى الاعوام الاخيرة من حكم معاوية , وانتشرت دعوتهم أي انتشار فى شرق الدولة الاسلامية وفى جنوب بلاد العرب ومات معاوية وكثير من الناس وعامة اهل العراق بنوع خاص يرون بغض بنى أمية وحب أ هل البيت لأنفسهم دينا[1] . ولا بد من بيان أن الحروب التي حصلت داخل الإطار الإسلامي هي من أصعب الأمور على المحارب المسلم , كونها تقع بين فئتين ترددان شعار الإسلام وكل منهما يدّعي بأنه هو من يمثل السماء ويجسّد الحق , وفي مثل هذه الحالة فإن هذه الصعوبة التي أشرنا إليها تورث الضعف والتردد والهوان والشك , وهذا الأمر يحتاج إلى إجراء سريع من قبل المعصوم ...وخير علاج هو قتل الأخر الذي إتخذ من الدين غطاء , والقتل هنا يجب أن يكون في عقول الناس أولاً وملاحظتهم لهوان أمره وخطره . وهذا درس نأخذه من القرآن الكريم أيضاً , وذلك في قصة موسى عليه السلام والسحرة , فلمّا تجمعوا يوم الزينة ووقفوا أمام الناس ليدحض كل منهما الأخر فإن موسى عليه السلام قد أعطى الفرصة للسحرة بأن يلقوا ما عندهم من حجج وبراهين أمام الناس , ولمّا إنتهوا قام عليه السلام بإبطال حججهم وألقى ما عنده فإذا هي تلقف ما يأفكون , قال تعالى : {فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ,

---

[1] **علي وبنوه ص197**

فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ }[1], ويقول تعالى : {فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ }[2].

ثالثاً : ومن تأصيلات الإمامة الحسنية المقدسة : الثورة الحسينية المباركة :

عند تتبع سلسلة الأحداث التي حصلت في إمامة الإمام الحسن عليه السلام وإمامة الإمام الحسين عليه السلام سيجدها مترابطة ومكمّلة بعضها للبعض الأخر , فبعد أن فرض الواقع والمصلحة على الإمام الحسن عليه السلام بأنه من الأفضل في هذه الفترة هو عدم القيام بوجه معاوية مع محاولة سلب الغطاء الشرعي عنه وفضح أمره بين الناس ورفع الإلتباس الحاصل , وهو ما نستطيع أن نسمّيه بالقتل البارد , إستمر هذا النوع من التعامل معه ما يقرب العشرين سنة , فبعد أن أستشهد الإمام الحسن عليه السلام في (49) للهجرة , إستمر الإمام الحسين عليه السلام بنفس السياسة ونفس طريقة التعامل إلى أن هَلَكَ معاوية في سنة (60) للهجرة وآل أمر ملك بني أميّة إلى يزيد ابن معاوية , أصبح الأمر مختلفاً , والخطة والسياسة الحسنية الحسينية قد دخلت في مرحلة أخرى تقتضي القيام الذي ستكون نتائجه لا محالة عندئذ هي أمّا النصر وأمّا الشهادة المصاحبة لحرق أخر أوراق الأخر الرابحة ورفع الغطاء عن وجهه القبيح بشكل كامل وتام وعندها يكون طريق الحق وطريق الرشاد قد تبيّن وإفترق عن طريق الغي والضلال للأعمى والبصير ...

---

[1] يونس 80,81
[2] الشعراء 45

بعد أن هلك معاوية أصـــبحت الضـــربة هنا قاضـــية كما يعبرون , وأن الخطة قد نجحت وحققت غايتها . ونلاحظ أن هذه السياسة وهذه الخطّة قد أشار إليها الإمام الحسن عليه الســـلام ببعض كلماته بطرف خفيّ وأحياناً جليّ , حيث أنه عليه السـلام قد صـرّح لأهل الكوفة بعد الصلح حينما ذهبوا اليه للمدينة بأن هذا الصلح هو إستراحة الجندي المحارب , فمما قال لهم : فارضـوا بقضـاء الله وسـلّموا الامر والزموا بيوتكم وامسـكوا وكفوا ايديكم حتى يسـتريح بر او يسـتراح من فاجر .... يعلق طه حســين على هذه العبارة : فهو اذن يهيئهم للحرب حين يأتي إبانها ويحين حينها ويأمرهم بالسلم المؤقت حتى يستريحوا ويحسنوا الاستعداد ... (علي وبنوه ص 189) .

فقد أصيبت الأمة بمرضين خطرين حسب ما يشخص ذلك الشـهيد السـعيد محمد باقر الصـدر , الأول : الشـك : بمعنى الجهل وعدم معرفة الاصـلح للقيادة وهل هم أهل بيت النبوة أم الحزب المقابل , والمرض الثاني : ضـعف الإرادة : بمعنى عدم وجود العزم والحزم من قبـل الأمـة لغرض تحقيق مـا تصـبو إليه , فأما الإمام الحســن عليه الســلام فكان طبيباً للمرض الأول , وأما الطف فكانت صـــالة العمليات الكبرى للمرض الثاني .

إذن ... هذا التأصـيل متمثل بتأجيل القيام إلى وقت مناسـب يكون عندها مضـمون النتائج , فالحرب بطبيعتها إن حصـلت فستخرج غالباً بطرفين , أحدهما منتصر والأخر منتصر عليه , ونسـبة الإحتمال بالنسـبة للدخول بالحروب عادةً متسـاوية للطرفين فيما يخص النصـر أو الهزيمة , ولكن القائد الحاذق ومن خلال سـياسـة معينة يسـتطيع أن يجعل نفسـه منتصـراً سـواء كان غالباً أو مغلوباً , قاتلاً أو مقتولاً , وحسـب تعبير

القرآن الكريم : {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ }[1], والحسنيين التي أشارت لهما الآية المباركة هي أمّا النصر وأمّا الشهادة . وهذا ما فعله الإمام الحسن عليه السلام , فلقد أدرك عليه السلام أن مواجهة معاوية لا تكون إحدى الحسنيين مضمونة وإنما النتيجة هي أمّا النصر وهو بعيد بعد دراسة وتحليل معطيات الجيش وأمّا الذل , لهذا يقول عليه السلام : والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني اليه سِلْماً , فوالله لإن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسيره أو يمنّ علي فتكون سبّة على بني هاشم إلى أخر الدهر...[2].

---

[1] **التوبة 52**
[2] **بحار الأنوار 22/44**

الفصل الخامس

صلح الإمام الحسن عليه السلام
عرض وتحليل

الصلح : عرض وتحليل

بعد أن أستشهد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام صار أمر الخلافة لولده الإمام الحسن عليه السلام وهذا لا يختلف فيه العامة والخاصة , لم تستقر أمور الخلافة لأسباب عالجها الإمام عليه السلام بعلاجات سنحاول عرضها بنقاط مختصرة ومتسلسلة ...

- **أستشهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في شهر رمضان من عام 40 للهجرة على يد اللعين عبد الشيطان ابن ملجم المرادي بعد أن ضربه على أم رأسه وهو صائم وفي محراب صلاته في مسجد الكوفة وهو يصلي صلاة الصبح إماماً للجماعة .**
- **أوصى أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة والإمامة إلى ولده الامام الحسن عليه السلام , وأشهد على وصيته الحسين "ع " ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته , ثم دفع اليه الكتب والسلاح وقال له : " يا بني , أمرني رسول الله صلى الله عليه واله أن أوصي اليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي , كما أوصى إلي رسول الله ودفع إلي كتبه وسلاحه , وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين "[1] .**
- **وقف الإمام الحسن عليه السلام في المسجد مؤبّناً أباه عليه السلام , حيث خطب خطبة بدأها : لقد قُبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الأخرون .... , ووقف بحذاء المنبر ابن عمه " عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب " , وبعد أن إنتهى الإمام من تأبين أبيه رفع عبيد الله صوته : معاشر الناس هذا ابن نبيكم , ووصي**

---

[1] راجع أصول الكافي

إمامكم فبايعوه " , فبادر الناس إلى بيعته وكان ذلك يوم الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة 40 للهجرة يوم وفاة أبيه عليهما السلام .

- بايعت مع الكوفة البصـرة والمدائن بل العراق كافة وكذلك الحجاز واليمن على يد القائد " جارية بن قدامة " وكذلك فارس على يد عاملها " زياد بن عبيد " , أضـف إلى فضلاء المهاجرين والانصار .
- تخلّف عن بيعته معاوية المتربع بغير وجه الشـرع على سـلطة البلاد والعباد في الشـام بعد أن ثبت ملكه فيها من أيام عمر بن الخطاب واسـتمر بعد أن أقره عثمان على ولاية الشام وكذلك استمر به الحال في أيام أمير المؤمنين عليه السـلام ولكنه هنا بدأ التمرد علناً , فلم يتزحزح من كرسـيه بعد أن سـلب منه أمير المؤمنين عليه السـلام الشرعية بصورة كاملة .
- كان مجتمع الكوفة آنذاك وعند بيعة الامام الحسـن عليه السلام خليطاً من عدة أقسام[1] , قسم تابع الى الحزب الأموي كأمثال عمر بن سـعد بن أبي وقاص ومن لف لفه حيث كتبوا الى معاوية بالسـمع والطاعة في السـر واسـتحثوه على المسـير نحوهم وضـمنوا له تسـليم الحسـن اليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به . وقسم الخوارج وهم أعداء الامام علي عليه السـلام منذ حادثة التحكيم كا هم أعداء معاوية , كأمثال شبث بن ربعي والاشعث بن قيس وشمر بن ذي الجوشن . وقسم الشكاكين , وهم ممن تأثر بدعوة الخوارج بدون أن يكونوا منهم . وقسـم الحمراء , وهم عشـرون الفا من مسـلحة الكوفة (كما يحصـيهم الطبري

---

[1] راجع " صلح الحسن " : راضي ال ياسين ص63.

في تاريخه) , وهم من المهجّنين من موال وعبيد وكانوا ليس من العرب , ولعل أكثرهم من أبناء السبايا الفارسيات اللائي أخـذن في عين التمر و جلولاء , وهم على الأكثر من أجناد المتغلبين وسيوف الجبابرة المنتصرين . والقسم المقابل هم من شيعة الامام الحسن عليه السلام وهم الاكثر عددا وفيهم من بقايا المهاجرين والانصـــار لحقوا الامام علي عليه الســلام الى الكوفة . أمّا أهل الشــام فكانوا كما يصــفهم صــعصــعة بن صــوحان العبدي : أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق , عصاة الجبار وحلفة الاشرار.

- بدأ الامام الحسـن عليه السـلام يكاتب معاوية ويدعوه الى الـدخول في البيعـة وممـا قـالـه لـه : وان انـت أبيـت الا التمادي في غيّك ســرت اليك بالمســلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننـا وهو خير الحـاكمين[1]. أمـا معـاويـة فكـانـت حجته في أجوبته للإمام عليه الســلام : اني اطول منك ولاية واقدم منك بهذا الامر تجربة واكبر منك سناً[2], ويذكر أن عدد الرســائل بين الامام "ع " ومعاوية لا يتجاوز الخمس .
- بادر معاوية الى العدوان مبتدئا , فزحف الى " جســر منبج" باتجاه العراق وبدأ بإسـتنفار عشـائره وجيشـه في النواحي التابعة له .
- استعد الامام الحسن عليه السلام الى المواجهة , فدعا الى الجهاد وقام معه المخلصــون من أمثال : حجر بن عدي الكندي , أبي ايوب الانصــاري , عدي بن حاتم الطائي , حبيب بن مظاهر الاســدي , هانىء بن عروة المرادي , رشـيد الهجري , ميثم التمار , برير بن خضـير الهمداني ,

---

[1] ابن ابي الحديد ج4 ص12
[2] شرح النهج ج4 ص13

الاصبغ بن نباته , صعصعة بن صوحان , ابراهيم بن مالك الاشـتر , مسـلم بن عوسـجة , عمرو بن الحمق الخزاعي ... وغيرهم ممن وصـفهم الامام الحسـن عليه السـلام الى عبيـد الله بن عبـاس : بـأن الرجـل منهم يزيـد الكتيبـة , ووصـــفهم معاوية في حروب صـــفين : بأن قلوبهم جميعاً كقلب رجل واحد .

- عمد الإمام عليه السـلام إلى إتخاذ بعض التدابير لمواجهة معاويـة , ومنهـا : مضـــاعفـة الأجور التي يتقـاضـــا ها المقاتلون , الإقتصاص من الخونـة ممن يحاول إفساد الأمر على الإمام "ع " لصـــالح معاوية كما حصـــل ذلك مع الرجلين الذين دسـهما معاوية إلى كل من الكوفة والبصـرة حيث إقتص منهما وأمر بضرب عنقهما .
- حث الامام "ع " الناس الى الجهاد والخروج معه لغرض التعسـكر في النخيلة , ولكن دافع الحركة مع الامام "ع " يشـوبه الإكراه والتثاقل والتخاذل إلّا الصـفوة من أصـحاب الامام , وكاد الامر أن ينقلب منذ البداية لغير صـالحه عليه السلام .
- انتهى جيش الامـام "ع" الى النخيلـة , فـأقـام بهـا ونظّم جيشـه , ثم ارتحل عنها وسـار الى " دير عبد الرحمن " , فأقام بها ثلاثة أيام ليلتحق به المتخلّفون من جنده .
- أرســل عبيد الله بن عباس ومعه اثنـا عشــر جندي لغرض الاستطلاع على حال العدو وإيقافه عند محلّه .
- أمّا الإمام الحســن عليه الســلام قرر أن يتخذ المدائن مقرا لقيادته العليا , حيث أن مسـكن تبعد عنها أكثر من خمسـة عشر فرسخاً .
- عندما وصــل عبيد الله الى " مســكن " وهي مدينة على نهر الدجيل عسكر فيها وقابل العدو وجهاً لوجه ...

- بدأ الوضــع يرتبك في جيش عبيد الله بســبب وجود بعض المنافقين والمرتبكين وكذلك بدأت الشـــائعات تنتشـــر بأن معاوية بدأ يكاتب الامام الحسـن عليه السـلام على الصـلح فلم القتال ...؟! , وأن أهل الكوفة متخاذلين من نصر الامام , أضــف إلى ذلك أعداد العدو المكتظة والتي تقدر بســتين الف مقاتل , بدأ التزلزل هذا حتى في قائد الجيش نفسه .
- بدأ معاوية إغراء قائد الجيش المتزلزل , وبدأت رســـائله تصل اليه بأن الحسن قد راسله بالصلح وأن الامر سيكون اليه وإنه إن دخل في طاعته سيكون له شأن بالإضافة الى ما تضمنته رسالته أعلاه على دراهم بلغت الف الف درهم .
- إختار عبيد الله العار والنار ودخل في معســكر معاوية ليلاً دخول الذليل الخائن , ويذكر اليعقوبي أنه سار اليه بثمانية الاف من أصحابه .
- خلفه في مسكن على الجيش نائبه المنصّب من قبل الامام وهو قيس بن ســـعد بن عبادة الذي حاول مجاهداً رفع معنويات الجيش والمحافظة على تماســـكه وقد نجح في ذلك ودبت روح الحماس مرة أخرى حتى قالوا له في الخائن : الحمد لله الذي أخرجه من بيننا .
- اســـتمر معاوية بإغراء أكثر عدد ممكن من أتباع الإمام وكذلك ندبهم إلى قتل الإمام مقابل مائة الف درهم وتزويج القاتل إحدى بناته وله جند من أجناد الشـــام , الأمر الذي جعل الإمام يتحرز من القتل ولا يتقدم الى الصـــلاة إلّا أن يلبس درعاً , وفعلاً رماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من اللامة ..

- توالت الخيانات في جيش الإمام , حيث بعث الإمام عليه السلام قائداً من كندة في أربعة الاف , فلمّا نزل الأنبار بعث اليه معاوية بخمســـمائة الف درهم , ووعده بولاية بعض كور الشام والجزيرة , فصار اليه في مائتين من خاصته , ثم بعث رجلاً من مراد ففعل كالأول بعدما حلف الأيمان التي لا تقوم لها الجبال أنه لا يفعل , وأخبرهم الامام أنه سيفعل كصاحبه[1] .
- الآن الإمام عليه الســـلام أمام عينه ونظره هذا الوضـــع المتهالك , جيشـــه يتألف من عشــرين الفاً وذهب ثلثاه إلى معسكر معاوية , بينما العدو لديه ستون الفاً غير الفارين اليه من معســـكر الامام عليه الســـلام , أضـــف الى حرب الإشـــاعات التي مارســـها معاوية قبل شـــن الحرب وهي حسب المصطلح المعاصر تسمّى بالحرب الباردة , والتي أثّرت في معنويات الجيش المتواجد في مسكن والمدائن .. ومنها إشاعة أن قيس ابن عبادة قد صالح معاوية ايضاً , بينما يشيع في معسكر سعد أن الامام قد صالح معاوية , ثم إشاعة في المدائن أن قيس قد قتل فانفروا , الأمر الذي أدّى إلى نهب ســرادق الامام , متاعه وحتى بســاطاً تحته[2] ...
- قام معاوية بجمع كتب الخونة من رؤســاء الكوفة وزعماء قبائلها وهم يعرضون عليه السمع والطاعة ... وأرسلها بيد وفد يتكون من المغيرة بن شعبة وعبدالله بن عامر بن كريز وعبدالرحمن بن الحكم إلى الامام الحســـن عليه الســـلام , قام هؤلاء بعرض الصـــلح على الإمام بالشــروط

---

[1] راجع أعيان الشيعة : 22/4

[2] راجع تاريخ ابن الاثير : 203/3

التي يراها مناســـبة ولكن الامام "ع" لم يجبهم على ذلك ونصحهم لما فيه خير أنفسهم وأمتهم .

- عندما خرج الوفد من الامام قام بإســـتعراض مضـــارب الجيش الذي كان ينتظر نتائج المفاوضـــات , فرفع أحد أفراد الوفد صوته ليسمع الناس : إن الله حقن بابن رسول الله الدماء وسكّن الفتنة وأجاب الى الصلح ... .
- تـدهور على أثر ذلـك الوضـــع وانفجرت كوامن الفتنـة واضـطرب تماسـك الجيش , أمر الإمام أن ينادى بالصـلاة جامعة , وقام خطيباً فمما قاله : ... وإني ناظر لكم خير من نظركم لأنفسـكم فلا تخالفوا أمري , ولا تردوا علي رأيي , غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضـا .
- نظر الناس بعضـــهم الى بعض , اندفع البعض وهو يقول انه يريد الصـــلح , فقالوا كفر والله الرجل , ثم شــدّوا على فسـطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصـلّاه من تحته , ثم شـدّ عليه عبد الرحمن بن عبدالله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه فبقي جالسـاً متقلداً السـيف بغير رداء , ثم دعا بفرســـه فركبه وأحدق به طوائف من خاصـــته وشـــيعته ومنعوا منه من أراده فقال : ادعوا إلي ربيعة وهمدان , فدعوا فأطافوا به ودفعوا الناس عنه وســـار حتى وصـــل الى مظالم ســـاباط , بدر اليه رجل من بني اســـد يقال له (الجراح بن ســـنان) فأخذ بلجام بغلته وبيده مغول وقال : الله اكبر أشـــركت يا حســـن كما اشـــرك ابوك من قبل , ثم طعنه في فخذه فشّـــقه حتى بلغ العظم , ثم اعتنقه الحســـن "ع " وخرّا جميعاً الى الارض , فوثب اليه رجل من شيعة الامام "ع " يقال له (عبدالله ابن خطل الطائي) فانتزع المغول من يده وخضـــخض به جوفه فأكب عليه أخر كان

معه يقال له (ظبيان بن عمارة) فقطع أنفه فهلك, وحمُل الامام على سرير الى المدائن .

- لمّا وصل الحال هكذا وبعد محاولات من قبل معاوية راغباً في عقد الصلح مع الامام واشترط على نفسه أن يملي الامام على صحيفة بيضاء قد بعثها له ومختومة من قبله ما يرغب من الشروط .
- وافق الامام عليه السلام بعد أن أملى عليه جملة من الشروط التي لم تذكرها المصادر التأريخية بشكل منتظم ولكن جمعها الامام المجاهد الشيخ راضي ال ياسين في كتابه النفيس " صلح الحسن عليه السلام " بخمسة بنود هي بأختصار (تسليم الامر لمعاوية على أن يعمل بكتاب الله وسيرة الرسول والخلفاء الصالحين – ان يكون الامر للحسن "ع " من بعده وإذا حدث شيء فللحسين "ع " وليس لمعاوية ان يعهد لأحد غيره – ان يترك سب امير المؤمنين "ع" والقنوت عليه – استثناء ما في بيت مال الكوفة فلا تسلّم له وهي خمسة الاف الف , وعلى معاوية ان يحمل الى الحسين "ع " كل عام الفي الف درهم ....- ان يكون الناس آمنون في بلدانهم وأن لا يتبع هفواتهم) .
- بعد توقيع الصلح بين الامام "ع " ومعاوية اتفقا على مكان يلتقيان به ليكون هذا اللقاء تطبيقاً عملياً للصلح , اختارا الكوفة فقصدا اليها , غصّت الكوفة بالناس ومنهم جند الفريقين , نودي بالناس الى المسجد الجامع , سبق معاوية الى المنبر وخطب في الناس خطبة طويلة , ومما قاله : أنه قال : يا أهل الكوفة .. أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت انكم تصلّون وتزكّون وتحجّون ؟ ولكني قاتلتكم لأتأمّر عليكم وألي رقابكم و قد

آتاني الله ذلك وأنتم كارهون , ألا أن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول , وكل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين ...

- بعد ذلك خطب الامام الحسن عليه السلام خطبة بليغة وقد أنال من معاوية ما أنال ...

مناقشة وتحليل /

بعد هذا العرض المختصر والسريع والمقتضب للأحداث التي مرّ بها الإمام عليه السلام من تولّيه الإمامة والخلافة وحتى الصلح والتي هي بضعة أشهر ... نريد أن نقف على بعض الحقائق عسى أن يوفقنا الله جل وعلا لذلك ...

نبدأ من طرح سؤال , جوابه سيكون جامعاً مانعاً لتحليل ومناقشة قضية الصلح , وهو : لماذا لم يصرّ الإمام الحسن عليه السلام على القتال كما أصرّ الإمام الحسين عليه السلام ..؟ وهل السبب يعود إلى:

1. إختلاف شخصية الإمام الحسن "ع " عن الإمام الحسين "ع " .. ؟
2. المشكلة بإختلاف معاوية عن يزيد عليهم لعائن الله ..؟
3. المشـــكلة بإختلاف ظروف كل منهما .. عدة وعدد طرف الأئمة وعدة وعدد طرف بني أمية ..؟
4. المشكلة بنوع وعدد النتائج المضمونة التحقق في تصرف كل منهما سلام الله عليهما ..؟
5. الإختلاف نابع من أصل غيبي حتّم على الإمامين "ع " أن يتصرفا هكذا ...؟
6. أو أنه كلا التصـــرفين هما تصـــرف واحد ولكن بجزئين ومرحلتين وأن الطف بدأت من قبل الإمام الحســـن "ع " وإنتهت بقتل الإمام الحسين " ع " ..؟

هذه إحتمالات ستة نحاول أن نناقشهما ...

أمّا الإحتمال الأول : إختلاف شخصية الإمام الحسن "ع " عن شخصية الإمام الحسين "ع " ... ؟

فنقول : أنهما صلوات الله عليهما وحسب عقيدة مدرسة أهل البيت من طينة واحدة , وأنهما إمامان معصـــومان وعصمتهما تشمل عدم الإنجرار وراء الإنفعالات الشخصية أو العاطفية أو ما شـــاكل ذلك , بل قول وفعل وتقرير الإمام (كل الأئمة عليهما الســـلام) تدور مدار رضـــا الله ســـبحانه وتعالى وإراداته .. وهذا ما أثبتته جملة من الروايات التي تشير إلى هذه الحقيقة ..بمعنى .. أننا نعتقد وندين بأن الإمام الجواد"ع" أو الكاظم "ع" أو العسكري "ع " لو كانوا هم الأئمة في زمان إمامة الحسين "ع" لكانوا هم شهداء الطف والعكس صحيح وهكذا ...

هذا الجواب يصلح لأتباع مدرسة أهل البيت أيدهم الله , أمّا غيرهم فنقول :

1. أن الظروف التي عاشــها الإمام الحســن "ع" من الولادة وحتى الوفاة هي عين الظروف التي عاشها الإمام الحسين "ع " وحتى وفاة أخيه الحســـن "ع" , فإذا كنا نعتقد أن الظروف صانعة للشخصية فالإختلاف إذن ساقط , نعم .. عاش الإمام الحســين "ع " ظروفاً بعد إســتشــهاد أخيه الحســـن "ع " خاصـــة , أي أنه لا يثبت لدينا أن الإمام الحسن "ع " لو مرّت له نفس ظروف الإمام الحسين "ع " بعد وفاته فإنه سيستمر بالصلح ولم يصنع كربلاء .

2. أن الإمام الحســين عليه الســلام قد صــالح معاوية كأخيه الحســـن "ع" , أي كان موجوداً ولم يخالف أخيه وكان قادراً على أن ينشـــق ويأخذ بزمام الأمور والراغبين بالحرب أو المعترضــين على الصـــلح , علماً بأنه كان له شأناً عظيما بحيث تذكر بعض الروايات أنه عُرضت عليه البيعة بعد وفاة أبيه "ع " وكذلك بعد الصلح , أما الأولى : يذكر ابن قتيبة أن الامام الحسن عليه السلام كلما قصدته كوكبة من الناس لتبايعه يلتفت إليها قائلاً : (تبايعون لي على السمع والطاعة , وتحاربون من حاربت وتســالمون من سالمت) , ولمّا سمعوا هذا الشرط أحجموا عن البيعة وأمسـكوا أيديهم عنها , وقبض الحســن يده ,فانثالوا نحو الحســين "ع " وهم يهتفون : ابســط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك وعلى حرب المحلّين الضــالّين أهل الشــام فردهم الامام الحسـين "ع " قائلاً : معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحســن حيا[1]. أمّا الثانية والتي هي بعد الصـــلح : أن عدي بن حاتم لمّا لم يقتنع بأسباب صلح الامام مع معاوية , مضى مثقل الخطى نحو الحسين "ع " وقال له كلام منه

---

[1] حياة الامام الحســن ع / القرشــي /ج2 ص35 عن الامامة والســياســة : 170/1

: .... دع الحســـن وما رأى من هذا الصـــلح واجمع إليك شـــيعتك من أهل الكوفة وغيرها وولّني وصـــاحبي (أي عبيدة بن عمر) هذه المقدمة , فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسـيوف , فقال له الامام الحسـين "ع" : إنّا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل لنقض بيعتنا[1] .

3. أن الإمام الحسـين "ع" إسـتلم الإمامة بعد أخيه الحسـن عليه السلام ومعاوية لا زال مغتصباً لإدارة أمور المسلمين وظل الحال هكذا أكثر من عشـر سـنوات إلى أن إسـتخلف يزيد أباه , فلم ينبر الإمام إلى القيام وسل السيف .

إذن : هذا دليل على كذب وزيف إدعاء ما يروى ويســـتنتج من أن الإمام الحسين عليه السـلام كان كارهاً لتصـرف أخيه الإمام الحسن عليه السلام وغير قابل على ذلك .

أمّا الإحتمال الثاني / ناتج عن إختلاف يزيد عن معاوية ...؟

والجواب هو أن هذا الإحتمال وارد جداً وتؤيده عدة دلائل وعلى رأسـها هو تصـعيد روح وطريقة رفض القعود من قبل

---

[1] راجع حياة الامام الحسن ع / القرشي / ج2 ص271

الإمام الحسين عليه السلام عند تسلّم يزيد الحكم , وكذلك ما عبّر الإمام الحسين عليه السلام من كلمات وخطب يوضح فيها رأيه الصريح بشخصية يزيد وأن على الإسلام السلام إذا أبتليت الأمة براع مثل يزيد , بإعتباره معلناً للفسق شارباً للخمر وقاتل النفس المحترمة ... الخ , والظريف أن المؤرخين لا يجدون في يزيد مجالاً للقبول أو إضفاء منقبة معينة كما هو الحال مع أبيه , فالسيوطي في تأريخ الخلفاء مثلاً ينقل قول الحسن البصري الذي يذكر فيه الإثنين الذين أفسدوا أمر الناس , وأحدهما المغيرة ابن شعبة حين أشار على معاوية أن يطلب البيعة ليزيد خلفه[1] ... كان معاوية محتالاً ومدعياً لأمور ذات جنبة دينية لغرض التضليل والإغراء , كرفعه لواء الآخذين بثأر عثمان وإدعائه لبعض الفضائل والسوابق في الإسلام , وفي قبال ذلك هو التنكيل بالخصم من خلال محاولة تجريده من البصمة الدينية الأمر الذي جعل الشاميين يتفاجئون بمقتل الإمام علي عليه السلام في محراب صلاته وهم يعتقدون أنه لا يصلّي ..؟ أمّا يزيد فالأمر مختلف معه ولم يجهد نفسه في النفاق والتظاهر ببعض المظاهر الدينية .. أعلن الإمام الحسين عليه السلام عدة أسباب لخروجه من أهمها إعتراضه على شخصية يزيد وبشكل لا يسمح له أن يقرّه لحظة واحدة على منصب تدبير أمور المسلمين , ومن أقواله عليه السلام عندما قال مروان بن الحكم له: يا أبا عبد الله إنى لك ناصح فأطعني ترشد، فقال الامام الحسين عليه السلام وما ذاك قل حتى أسمع ! فقال مروان: إنى آمرك ببيعة يزيد بن معاوية فإنه خير لك في دينك ودنياك , فقال الامام الحسين عليه السلام: <u>إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل</u>

[1] تأريخ الخلفاء للسيوطي : ترجمة يزيد

يزيد ولقد سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول الخلافة محرمة على أبى سـفيان .... , وأخرج الواقدي من طرق أن عبد الله بن حنظلة بن الغســيل قال : والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السـماء , إنه رجل ينكح أمّهات الأولاد , والبنات , والأخوات , ويشرب الخمر ويدعُ الصلاة [1].

أمّا الإحتمال الثالث : إختلاف ظروف كل منهما عليهما السلام من ناحية وجود الناصر ..؟

فلا نعتقد ذلك من حيث الكم وأمّا النوع فنعم , وهذا الثابت , فإن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين وقفوا معه في كربلاء هم من نوع خاص وقد شهد لهم الإمام الحسين عليه السلام , ولكنهم ثلة قليلة لا يتجاوز عددهم السبعين ونيف من الرجال , أمّا الإمام الحسن عليه السلام فكان جيشه رغم تعداده الكبير ولكنهم كالريشة في مهب ريح الإشاعات وأفعال ومكر المنافقين والمشككين والمتخاذلين ... بل حتى أقرب أصحابه وأخلصهم ترى بعضهم لم يصمدوا أمام هذا الإمتحان الذي جرى على يد الإمام الحسن عليه السلام وهو مخالف لرغباتهم وأمانيهم , لم يكن مع الإمام عليه السلام من الشخصيات القادرة على صنع كربلاء وإجادة أداء أدوارها كما كان للحسين عليه السلام , فيذكر أن الإمام الحسين عليه السلام

[1] السيوطي , تأريخ الخلفاء : ترجمة يزيد

جمع أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم أقبل عليهم فقال: أما بعد.. فإنى لا أعلم أصحابا أصلح منكم ولا أهل بيت أبر، ولا أفضل من أهل بيتى، فجزاكم الله جميعا عني خيرا وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني، وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيرى, فقال له إخوته وأبناؤه، وأبناء عبد الله بن جعفر ولم نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبدا وبدأهم بذلك القول العباس بن على عليه السلام ثم تابعوه. قال الراوى: ثم نظر إلى بنى عقيل حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم إذهبوا فقد أذنت لكم، وروى من طريق آخر قال فعندها تكلم إخوته وجميع أهل بيته، وقالوا: يا ابن رسول الله فما يقول الناس لنا وماذا نقول لهم إنا تركنا شيخنا وكبيرنا وابن بنت نبينا لم نرم معه بسهم ولم نطعن معه برمح ولم نضرب بسيف لا والله يا إبن رسول الله لا نفارقك أبدا ولكنا نقيك بأنفسنا حتى نقتل بين يديك ونرد موردك فقبّح الله العيش بعدك ثم قام مسلم بن عوسجة وقال نحن نخليك هكذا وننصرف عنك، وقد أحاط بك هذا العدو لا والله لا يرانى الله أبدا وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمة بيدى ولو لم يكن لى سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة ولم أفارقك أو أموت معك , قال وقام سعيد بن عبد الله الحنفي فقال: لا والله يا ابن رسول الله لا نخليك أبدا حتى يعلم الله أنا قد حفظنا فيك وصية رسوله محمد صلى الله عليه واله وسلم ولو علمت إنى أقتل فيك ثم أحى ثم أذرى يفعل ذلك بى سبعين مرة ما فارقتك حتى القى حمامى دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم أنال الكرامة التى لا إنقضاء لها أبدا ثم قام زهير بن القين وقال: والله يا ابن رسول الله لوددت إنى قتلت ثم نشرت ألف مرة وإن الله تعالى قد دفع القتل عنك وعن

هؤلاء الفتية من إخوانك وولدك وأهل بيتك , وتكلم جماعة من أصحابه بنحو ذلك، وقالوا أنفسنا لك الفداء نقيك بأيدينا ووجوهنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربنا وقضينا ما علينا وقيل لمحمد بن بشير الحضرمي في تلك الحال قد أسر إبنك بثغر الرى فقال عند الله أحتسبه ونفسي ما كنت أحب أن يؤسر وأنا أبقى بعده فسمع الحسين عليه السلام قوله فقال: رحمك الله أنت في حل من بيعتى فأعمل في فكاك إبنك فقال: أكلتنى السباع حيا إن فارقتك , قال: فأعط إبنك هذه الأثواب والبرود يستعين بها في فداء أخيه فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار.

والإحتمال الرابع الذي إحتملناه : هو أن النتائج المطلوبة كانت غير مضمونة عند الإمام الحسن عليه السلام في حالة إختيار خيار الحرب بعكس الإمام الحسين عليه السلام الذي ضمن أن دمه ثمن لبقاء الدين وحفظ شريعة رب العالمين وسنّة سيد المرسلين , وهذه الحقيقة المهمة في معرفة أسباب الصلح وأسباب الطف , وهذا الأمر يحتاج إلى حنكة وتدبير وتسديد إلهي خاص لغرض تشخيص التصرف الصالح عن غيره , تيقن الإمام الحسين عليه السلام أن الطف هي مرارة الدواء بالنسبة للجسد الإسلامي العليل والسقيم من حزمة من الأمراض التي زرع جراثيمها الحزب المنقلب على الأعقاب ومن دار مدارهم وحتى قيل على لسان الإمام الحسين عليه السلام : لو أن دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني , وأمّا الإمام الحسن عليه السلام فلقد شخّص أن الحرب هي بداية النهاية بالنسبة للدين وكما فعل أمير المؤمنين عليه

السلام عندما صابر نفسه في تحمّل عدة تعديات وتجاوزات ولكن المصلحة العامة غلبت وبغض النظر عن باقي المكتسبات والثمرات إن وجدت , المصلحة هكذا حتّمت على رسول الله صلى الله عليه وآله , لم يشهر السيف في مكة حتى هاجر وبعد مرور ما يقارب الثلاث عشر سنة من عمر الدعوة الإسلامية ثم حاربهم في بدر ثم بعد ذلك صالحهم في الحديبية , وهذا ما صرّح به عليه السلام عندما سأله أبي سعيد عن سبب الصلح , فمما أجابه عليه السلام : يأبا سعيد , علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضُمرة وبني أشجع , ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية , أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل[1] ... وهنالك نتيجة تنبّأ بها الإمام الحسن عليه السلام عند منازلته معاوية بعد دراسة الوضع العام , وهي عدم ضمان الإنتصار وكذلك عدم ضمان القتل والإستشهاد أيضاً وإنما المتوقع هو الوقوع أسيراً وسيحاول معاوية إذلاله , فيروى أن زيد بن وهب الجهني وبعد أن جرح الامام عليه السلام في المدائن سأله عن موقفه الذي سيتخذه في هذه الظروف فمما أجاب به عليه السلام : والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني اليه سِلْماً , فوالله لإن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسيره أو يمنّ علي فتكون سبّة على بني هاشم إلى أخر الدهر ...[2].

وفي هذه النقطة لا بد من توضيح وتأكيد هذا الأصل وهو ليس بالضرورة أن يكون رضا الله جل وعلا بقتل النفس وبالزهد وبكثرة العبادة ... الخ , وإنما رضا الله جل وعلا يكمن

---

[1] علل الشرائع : ص200

[2] بحار الانوار : 22/44

في الأعمال التي تكون ذات منفعة عامة تشمل نفس الفرد وباقي المجتمع وتعود بالفائدة على الدين وعلى التخطيط الإلهي العام ولذلك جاءت بعض الأحكام المتناسبة مع هذه الحقيقة ومنها وجوب التقية مثلاً ...! , ولهذا أيضاً جاءت بعض الآيات والأحاديث المتناسبة مع هذا الأصل ومنها : قال تعالى : {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }[1], وكذلك ما جاء من أحاديث تفضّل مداد العلماء على دماء الشهداء إشارةً إلى هكذا حقيقة .

والإحتمال الخامس : الجانب الغيبي .

فهذا واضح أيضاً وتؤكده عدة إشارات نذكر منها :

---

[1] البقرة 177

- نوّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من خلال بعض الأحاديث الواردة إلى هكذا نتيجة وهكذا تصرّف للإمامة الحسنية المقدسة , مثلاً : روى أبو بكرة , قال : رأيت رسول الله "ص" على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرّة وعليه أخرى ويقول : إن إبني هذا سيّد , ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[1]. وكذلك ما أشتهر بين المسلمين من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا[2] .
- ما تنبّأ به أمير المؤمنين عليه السلام حينما أخبر الإمام الحسن عليه السلام في حديث يقول به الامام الحسن "ع" : قال لي أبي ذات يوم : كيف بك يا حسن إذا ولي هذا الامر بنو أميّة ؟ وأميرها الرّحب البلعوم , الواسع الاعفاج , يأكل ولا يشبع , يموت وليس له في السماء ناصر , ولا في الارض عاذر , ثم يستولي على غربها وشرقها , تدين له العباد , ويطول ملكه , ويستن بسنن البدع والضلال , ويميت الحق وسنّة رسول الله صلى الله عليه واله , يقسم المال في أهل ولايته , ويمنعه عمن هو أحق به , ويذل في ملكه المؤمن , ويقوى في سلطانه الفاسق , ويجعل المال بين انصاره دولا , ويتخذ عباد الله خولا , ويدرس في سلطانه الحق , ويظهر الباطل , ويقتل من ناوأه على الحق[3] . وكذلك ما ينقل عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما إنتشرت إشاعة في الكوفة أن معاوية قد مات , فقال عليه السلام :

---

[1] راجع صحيح البخاري : 152/1

[2] بحار الانوار 2/44

[3] الاحتجاج 2: 11, بحار الانوار 20/44

قد أكثرتم من نعي معاوية , والله ما مات , ولا يموتن حتى يملك ما تحت قدمي[1] .

- ما لمّح هو صلوات الله عليه عندما أراد المسلمون أن يبايعوه بعد إستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام , فيذكر أن أوّل من بايع الامام عليه السلام قيس بن سعد الانصاري , فقال له : ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيه وقتال المحلّين , فأجابه الامام عليه السلام : على كتاب الله وسنّة نبيه , فإنهما يأتيان على كل شرط[2]. ويذكر ابن قتيبة أن الامام كلّما قصدته كوكبة من الناس لتبايعه يلتفت إليها قائلاً : تبايعون لي على السمع والطاعة , وتحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت , ولمّا سمعوا هذا الشرط أحجموا عن البيعة وأمسكوا أيديهم عنها , وقبض الحسن يده فانثالوا على الحسين عليه السلام وهم يهتفون : ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه اباك وعلى حرب المحلّين الضالين أهل الشام , فردعهم الحسين عليه السلام قائلاً : معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حيّا وبعدما رفض الحسين عليه السلام طلبهم أقبلوا نحو الحسن عليه السلام فبايعوه وهم مكرهون[3] .

والأحتمال السادس : هو أن الطف هي حرب الإمام الحسن المؤجلة

وهذا ما تؤيده عدة قرائن وبراهين وللإختصار في هذا الموضوع ولعدم التكرار يمكن مراجعة موضوع تأصيلات

---

[1] مروج الذهب : 2/ 465

[2] الكامل في التأريخ : 174/3

[3] الامامة والسياسة : 170/1

الإمام الحسن عليه السلام : الثورة الحسينية , وستجد أخي القارىء أن هذا الإحتمال وارد جداً .

خِتَامُهُ مِسْكٌ : وفي الختام نكون قد سلطنا بعض الأضواء على الإمامة الحسنية المقدسة ودورها في حركة الأمة وتحديد ملامح مسيرها وذلك من خلال سياسته عليه السلام وطريقته في تولّي شؤون العباد وكذلك تأصيلاته التي جذّرها في الدين والمجتمع , ذكرنا أن من سياسته عليه السلام نزع الصفة الدينية والخلافة الشرعية عن بني أميّة ومن تبعهم وجعلهم مجرّد ملوك يتعاقبون على الجاه والسلطان , وبهذا يخفّ وطأة وتأثير إغتصاب خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله كون أنه من أخطر الأشياء أن تكون السلطة الشرعية بيد السلطان غير العادل فإن ذلك سيكون على حساب الدين والسنن الإلهية بل وهدف السماء , فبدعته تصبح ديناً وأوامره تصبح تشريعاً وهكذا , وهذا ما حصل فعلاً في أيّام الخلافة المغتصبة (الدينية

والدنيوية) حيث حرّم حلالاً وحللّ حراما , وذكرنا أيضاً أن من سياسته عليه السلام هو عدم الدخول في أمر نتيجته غير محسومة إلى جانب الحق وأهل الحق , بمعنى أن هنالك بعض التدابير التي تتخذ بحيث يستطيع صاحبها أن يقطع بأن النتيجة لصالحه ومهما كانت الظروف المتوقعة , وهذا ما حصل مع الإمام الحسن عليه السلام , فبعد أن تفكك جيشه وآنحلّت عزائمهم وكذلك لاحظ بأن الأمر سيعود لخصمه وأن الدخول في حرب معه نتيجتها أما الإنتصار المستبعد وفق الحسابات الطبيعية أو الذل والهوان لجانب الحق وأهله , وهذه النتيجة هي بسبب عدم إدراك المجتمع في حينها أن الإمام الحسن هو الذي يمثل الجانب الشرعي في هذه الفتنة , وإذا ما إنضمّت الغلبة لمعاوية فستكون النفوس عندئذ ميّالة له ويكون الإمام عليه السلام ومن قتل معه أناساً قتلوا من أجل الكرسي والسلطان , لذلك عمد عليه السلام إلى تأجيل هذه المعركة وفسح المجال لمعاوية أن يظهر على حقيقته وبعد ذلك الدخول معه في معترك تكون نتيجته الإنتصار والعزة لا محالة لأهل الحق والهزيمة والعار لمعسكر الباطل .. وهذا ما فعله الإمام الحسين عليه السلام .

فسلام عليه ألف سلام , وسلام موصول لك أخي المتعرض لهذه النسمات الحسنية المقدسة ورحمة الله وبركاته ...

الفهرست

المقدمة 5
الفصل الأول : حياة الإمام الحسن ع بإقتضاب
.........................7
الفصل الثاني : من أوجه مظلومية الإمامة الحسنية المقدسة
...............13
الفصل الثالث : تنوع الظروف التي مر بها الامام عليه ابسلام
..........25
الفصل الرابع : من تأصيلات الإمامة الحسنية المقدسة
...................37
الفصل الخامس : صلح الامام الحسن عليه السلام – عرض وتحليل -....53